

أختاه
لا تقنطي من رحمة الله

أبو محمد عصام عبد ربه محمد مشاحيت

مصدر هذه المادة :







مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّـهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢) .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣).

أما بعد :

مما لا ريب فيه أنَّ المرأة هي أساس المجتمع، ففـي صـلاحها صلاح للمجتمع كله، فهي التي تقوم على تربية الأولاد من البـنين والبنات، فإذا كانت هذه المربية متهتكة مستهترة لا تقيم لمبـادىء

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٢.

(٢) سورة النساء ، الآية : ١ .

(٣) سورة الأحزاب / ٧٠ ، ٧١.

الفضيلة أية قيمة، ولا لمفهومات العفة والشرف أي اعتبار، فيؤدي ذلك إلى ضياع الأبناء وانتشار الفساد في المجتمع، أما إذا كانـــت مثالاً للعفة والطهر والإيمان فيؤدي ذلك إلى وجود الشاب المســـلم التقي الذي يؤمن بربه عز وجل، فيؤدي ما عليه من واجبات تجـــاه ربه ثم مجتمعه الذي يعيش فيه، وكذلك الفتاة المسلمة التقية الـــتي تؤمن بربها عز وجل ثم مجتمعها الذي تعيش فيه، ممـــا يـــؤدي إلى صلاح المجتمع ففي صلاحها صلاحٌ للمجتمع.

ومما يجدر الإشارة إليه أنه في هذه الأيام قد بعدت كثير مـــن المسلمات عن دين الله – عز وجل – فعمّت البلوى وانتشر الفساد في كثير من بلاد المسلمين مما جعلني أهمس بكلماتي هذه في أُذن كل مسلمة ابتعدت عن دين الله عز وجل قائلاً لها : " لا تقنطي مـــن رحمة الله ".

واعلمي أن الله يغفر الذنوب جميعًا، فعودي إلى الله وتوبي إليه توبة نصوحًا، فإن الله أمر المؤمنين جميعًا بالتوبة، فقال : **﴿وَتُوبُـــوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** [1] .

فهذه رسالة متواضعة سميتها :

أختاه لا تقنطي من رحمة الله

لتعلم كل مسلمة ابتعدت عن دين الله عز وجل أن الله يغفـــر الذنوب جميعًا فلا تقنط من رحمة الله ولتبادر بالتوبة الصادقة إلى الله

---

(١) سورة النور ، الآية : ٣١.

سبحانه وتعالى.

وقد عرضتها – أي هذه الرسالة – على شـــيخي وأســـتاذي فضيلة الشيخ / محمد عيد العباسي حفظه الله ورعاه، فأشار علـــيّ بتوسعها وذلك بالاستشهاد بتوبة بعض التائبين والتائبات وبعـــض الأحاديث كحديث : « **لله أفرح بتوبة عبده من أحـــدكم...** » فكان ذلك، والحمد لله.

فإن كان هناك تقصير أو نسيان في بعض جوانبها فالله أسأل أن يتجاوز عن تقصيري هذا إنه جواد كريم، وأن ينفع بها المســـلمين ويجعلها في ميزان أعمالنا إنه على كل شيء قدير.

وكتبه الفقير إلى عفو ربه:

أبو محمد عصام بن عبد ربه آل مشاحيت.

خطورة المعصية

بادىء ذي بدء اعلمي أختاه أن المعصية خطر جسيم يمتد أثره من الفرد على المجتمع، فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنـــه قال : «**إذا ظهر السوء في الأرض أنزل الله بأسه بأهـــل الأرض، وإن كان فيهم قومٌ صالحون، يصيبهم ما أصاب الناس ثم يرجعون إلى رحمة الله ومغفرته** » [1] .

فالذنوب والمعاصي تضر، وضررها في القلب كضرر الســـموم في الأبدان على اختلاف درجاتها في الضرر، ولا يوجد في الـــدنيا والآخرة شر وداء إلا سببه الذنوب والمعاصي، وتصـــفحي أخـــتي المسلمة كتاب الله عز وجل وتدبري ما حدث للأمم السابقة بسبب الذنوب والآثام.

***فبسببها خرج آدم وحواء من الجنة :**

قال تعالى : ﴿**وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَـــا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّـــجَرَةَ فَتَكُونَـــا مِـــنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَـــا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**﴾ [2] .

([1]) صحيح : صحيح الجامع لناصر الدين الألباني رحمه الله (٦٨٠) ، السلسلة الصحيحة للألباني (١٣٧٢).

([2]) سورة البقرة ، الآيتان : ٣٥ ، ٣٦.

*** وبسببها طرد إبليس ولُعن وبُدِّل بالجنة نارًا تلظّى:**

قال الله عز وجل : **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَـــةِ اسْـــجُدُوا لِـــآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾** (١) .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره : " وهكذا لما أمـــر الله له الملائكة بالسجود، فدخل إبليس في خطابهم وكان قبل المعصـــية عبدًا صالحًا يتعبّد مع الملائكة، فلما أمر الله بالسجود لآدم فســـجد الملائكة طاعة لله إلا إبليس، أبى واستكبر عدو الله أن يســـجد لآدم – عليه السلام – حسدًا منه على ما أعطاه الله من الكرامة وقال : " أنا ناري، وهذا طيني، وكانت المعصية ابتداء ذنوبه وسببها الكِبْر، وقد ثبت في الصحيح : « **لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقـــال ذرة من كبر** » (٢) .

وقد كان في قلب إبليس من الكبر والكفر والعناد ما اقتضـــى طرده وإبعاده عن جناب الرحمة وكان من الكافرين بسبب امتناعه أي صار من الكافرين...اهـــ" (٣) .

*** وبسببها أُغرق أهل الأرض كلهم حتى علا المـــاء فـــوق رؤوس الجبال :**

قال الله عز وجل : **﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ**

---

(١) البقرة ، الآية : ٣٤.

(٢) مسلم (٩١) وغيره.

(٣) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ٤٢/١ للشيخ نسيب الرفاعي.

يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾[١] .

قال ابن كثير – رحمه الله تعالى – " أي من إصرارهم علـــى الكفر ومخالفة رسولهم أُغرقوا فأُدخلوا نارًا فلم يجدوا لهم مـــن دون الله أنصارًا، أي لم يكن لهم مجير من عذاب الله... اهـــ "[٢].

* **وبسببها سلَّط الله الريح على قوم عاد** حتى مـــاتوا عـــن آخرهم، وأرسل الصيحة على قوم ثمود حتى قطعـــت قلـــوبهم في أجوافهم :

قال تعالى : **﴿الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّـــةُ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَـــبْعَ لَيَـــالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾**[٣] .

* وبسببها أرسل الله على قوم شعيب سحاب العذاب كالظُلل فلما صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم نارًا تلظى :

قال الله – عز وجل - : **﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾**[٤] .

---

(١) سورة نوح ، الآية : ٢٥.

(٢) تسير العلي القدير لاختصار ابن تفسير كثير ٤/٤٣١.

(٣) سورة الحاقة ، الآيات : ١-٧.

(٤) سورة الشعراء / الآية : ١٨٩.

*** وبسببها أغرق الله فرعون وقومه في البحر :**

قال الله عز وجل: ﴿**وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى * فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ**﴾[1].

هذا هو الغرق الذي حاق بفرعون وقومه، فكما أنه تقـــدمهم فسلك بهم في البحر فأضلّهم وأغرقهم وما هداهم إلى سبيل الرشاد، كذلك يقدم قومه يوم القيامة فـــأوردهم النـــار، فبـــئس الـــورد المورود[2].

*** بسببها خسف الله بقارون وبداره وماله وأهله الأرض :**

قال تعالى : ﴿**فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ**﴾[3] .

---

(1) سورة طه ، الآية : ٧٧-٧٨ .

(2) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير بتصرف ١٤٥/٣.

(3) سورة القصص ، الآية : ٨١.

أضرار المعاصي

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى : " من تأمل عواقب المعاصـــي رآها قبيحة، ولقد تفكّرت في أقوام أعرفهم يقرون بالزنا وغـــيره، فأرى من تعثُرهم في الدنيا مع جلادهم [1] ما لا يقف عند حـــدّ، وكأنهم قد أُلبسوا ظلمة، فالقلوب تنفر عنهم، فإن اتسع لهم شـــيء فأكثره من مال الغير، وإن ضاق بهم أمر أخذوا يتسخطون علـــى القدر، هذا وقد شُغلوا بهذه الأوساخ عن ذكر الآخرة..."اهـــ[2].

وقال رحمه الله تعالى : " ولقد رايت أقوامًا من المترفين كـــانوا يتقلبون في الظلم والمعاصي الباطنة والظاهرة، فتعبوا من حيـــث لم يحتسبوا، فقلعت أصولهم، ونُقِضَ ما بنوا من قواعـــد أحكموهـــا لذراريهم، وما كان ذلك إلا أنهم أهملوا جانب الحق – عز وجل – وظنوا أن ما يفعلونه من خير يقاوم ما يجري من شر، فمالت سفينة ظنونهم، فدخلها من ماء الكيد ما أغرقهم... " [3].

فاحذري أختي المسلمة عواقب المعاصي وأضرارها التي منها:

١- مزيلة للنعم، جالبة للنقم، مؤدية إلى الهلاك والدمار : لمـــا ثبت عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال : أقبل علينا رسول الله

---

(١) الجلادة : الصلابة والقوة.

(٢) صيد الخاطر للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ص١٩٤-١٩٥. طبعة : دار اليقين، الطبعة الثالثة، ١٤١٩ هـــ.

(٣) صيد الخاطر : ص٢٠٤.

صلى الله عليه وسلم فقال : « **يا معشر المهاجرين ! خمسُ خصال إذا ابتُليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشـــة في قوم قط، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجـــاع الـــتي لم تكـــن في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميـــزان إلا أُخـــذوا بالسنين وشدّة المؤنة، وجور السلطان من السماء، ولولا البهائم لم يُمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلّط الله عليهم عدوَّهم من غيرهم، فأخذ بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم**»[1].

٢- موجبة للذل والحرمان، جالبة للصد عن سبيل الـــرحمن، تفسد القلوب، وتورث الهوان، وتوجب اللعنة من الله ومن رسوله صلى الله عليه وسلم، تزيل النعم، وتجلب النقم، وتلقـــي الرعـــب والخوف في القلوب، تُعمي البصيرة وتطبع عليها، وتسقط الكرامة وتوجب القطيعة، وتمحق البركة ما لم يتب العبد منها.

قال ابن المبارك – رحمه الله – مبيّنًا أضرار المعاصي :

رأيـــت الـــذنوب تميـــت القلـــوب
وقـــد يُـــورثُ الـــذُّلَّ إدمانُهـــا
وتـــرك الـــذنوب حيـــاة القلـــوب
وخـــيرٌ لنفســـك عصـــيانُها [2]

٣- ومن أضرارها : حرمان العلم، حرمان الـــرزق، وحشـــة

[1] صحيح : صحيح الجامع (٧٩٧٨) .

[2] المجموعة الذهبية في الخطب المنبرية، ناصر الغامدي ، ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ بتصرف.

القلب، تعسير الأمور، وحشة يجدها بينه وبين النـــاس ظلمـــة في القلب، وهن في القلب والبدن، حرمان الطاعة، تمحـــق البركـــة، والمعصية تولد الأخرى، كثرة المعاصي تجعلها عادة، سببٌ لهـــوان العبد على ربه، تورث الذل، تذهب الحياء، تفسد العقل فإن للعقل نورًا والمعصية تطفئه، حرمان دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم إن تكاثرت طبع على قلب صاحبها وكان من الغافلين، إنها تزيل النعم وتحلّ النقم، تضعف في القلب تعظيم الربّ، تصرف القلـــب عـــن استقامته... اهـــ [1].

*** أختي المسلمة..**

بالتفكر فيما سبق من أضرار المعاصي نلاحظ أن لبعضـــها أضرارًا حسيّة، ولبعضها أضرارًا معنوية، كما أن بعضها دنيـــوي، وبعضها أخروي.

فاحذري – أختاه – عقوبات المعاصي في الـــدنيا والآخـــرة، وبادري بالتوبة قبل الموت.

---

(1) الداء والدواء ، ابن قيم الجوزية ، ص٤٨-٧٥ بتصرف.

باب التوبة مفتوح

أختاه..

اعلمي – رحمني الله وإيـــاك – أن الإنســـان خُلِـــق ضـــعيفًا وعجولاً، وقُدّرت عليه الذنوب وجُبل على المعاصي [١] قال الله – عـــز وجل – : ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [٢]، وقال الله – عـــز وجل – : ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً﴾ [٣].

فالإنسان جُبل على الخطأ، فقد أخرج الإمام مسلم رحمـــه الله في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صـــلى الله عليه وسلم قال : «**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يُذنبون فيستغفرون الله فيغفر الله لهم** » [٤].

وقد ثبت في الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال : قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم : « **كُتِب على ابن آدم نصيبه من الزنـــا مدركٌ ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظـــر، والأذنـــان زناهمـــا الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجـــل**

---

(١) وليس لأحد أن يحتجّ بالقدر على المعصية مُدَّعيًا أنه معذور فيها طالما كتبت عليه، والمسألة فيها كلام طويل لأهل السنة، خلافًا للقدرية المبتدعة، ليس هذا مجال بسطه، فاحذري – أختاه – من إغواء الشيطان في ذلك.

(٢) سورة النساء : ٢٨.

(٣) الإسراء : ١١ .

(٤) مسلم : (٢٧٤٩).

زناها الخُطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويُصـــدِّق ذلـــك الفـــرج ويُكذِّبه»[١]، فلما عصى آدم – عليه الصلاة والسلام – عصـــت ذريته، وجحد فجحدت ذريته لما أخرجه الترمذي في ســـننه مـــن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لَّما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كـــل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصًا من نور، ثم عرضهم على آدم، فقـــال : أي ربِّ، من هؤلاء ؟.**

قال : هؤلاء ذريّتُك.

فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه، فقال :

أي ربّ، من هذا ؟

فقال : هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له : داود.

فقال : رب كم جعلت عمره ؟

فقال : ستين سنة ؟

قال أي رب،زده من عمري أربعين سنة.

فلما قضي عمر آدم جاءه ملك الموت فقال: أولم يبق مـــن عمري أربعون سنة؟

قال : أو لم تعطها ابنك داود ؟

---

(١) البخاري : (٦٢١٢)، مسلم (٢٦٥٧) واللفظ له.

قال : فجحد آدم، فجحدت ذريته، ونســـي آدم فنســـيت ذريته، وخطىء آدم فخطئت ذريته »[١].

قلت : و لم يكن آدم – عليه السلام – يعرف أنه ملك الموت.

من أجل ذلك فتح الله أمام بني آدم باب التوبـــة آنـــاء الليـــل وأطراف النهار، وجعل للتوبة بابًا مفتوحًا لا يُغلـــق حـــتى تطلـــع الشمس من مغربها"[٢].

فباب التوبة مفتوح دائمًا في الليل والنهار، في الشتاء والصيف، فليس على الباب حرس أو حجاب بل هو باب " مفتوح يدخل منه كل من استيقظ ضميره، وأراد العودة والمآب، لا يُصدُّ عنه قاصد، ولا يُغلق في وجه لاجئ، أيّا كان، وأيًّا ما ارتكب من الآثام " [٣].

بشرط أن تكون التوبة قبل طلوع الشمس من مغربهـــا وقبـــل الغرغرة.

فالله – عز وجل – يفرح بتوبة التائبين، فهو – سبحانه وتعالى – يفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه أعظم فرح يُقدَّر، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أخرجه الإمامان البخـــاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **لله أفرح بتوبة العبد**

---

(١) الترمذي : (٣٠٧٦ وقال : حديث حسن صحيح، وشاهده عند ابن حبان : (٢٠٨٢)، والحاكم (٦٤/١).

(٢) كتاب الاستغفار لأخينا الشيخ / مصطفى العدوي – حفظه الله – (ص٢٠-٢٢) بتصرف.

(٣) الظلال للأستاذ / سيد قطب (٢٥٨٠/٥).

من رجل نزل منزلاً وبه مهلكة، ومعه راحلته، عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومة، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته حتى أشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله، قال : ارجع إلى مكاني، فرجع فنام نومة، ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده » [(١)].

ما هي التوبة ؟

التوبة تعني : الرجوع من الذنب.

وتاب إلى الله : أناب ورجع عن المعصية إلى الطاعة، وتاب الله عليه : وفقه لها، ورجلٌ تواب : تائب إلى الله، وأصل تاب : عاد على الله ورجع وأناب، وتاب الله عليه: أي عاد عليه بالمغفرة [(٢)].

ومعنى التوبة شرعًا : هي العلم بعِظَم الذنب والندم عليه والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال.

فالتوبة – أختاه – أن تتركي الذنب مع العلم بقبحه، والندم على فعله، والعزم على ألاَّ تعودي إليه، وتؤدي ما ضيعت من الفرائض، إخلاصًا لله، ورجاء لثوابه، وخوفًا من عقابه، وذلك قبل حشرجة الروح في الصدر (الغرغرة) وقبل طلوع الشمس من مغربها.

والتوبة واجبة من كل ذنب، وقد دعا الله – عز وجل – جميع العباد إلى التوبة، مع اختلاف معاصيهم وعِظَم جرائمهم في حق الله

(١) البخاري (٦٣٠٨) ، ومسلم (٢٧٤٢).

(٢) لسان العرب لابن منظور ، مادة (توب) ١/٣١٥ ، دار صادر.

تعالى دعا إليها المنافقين فقال – عز وجل – : ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِـي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا * إِلَّا الَّذِينَ تَـابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ**﴾ (١).

بل دعا إليها من نسب إلى الله – عز وجل – الفقـر، الـذين قالوا : ﴿**إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ**﴾ (٢).

وقالوا : ﴿**يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا**﴾ (٣).

فقال الله – عز وجل – بعد أن ذكر حالهم : ﴿**أَفَلَا يَتُوبُـونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ**﴾ (٤).

ودعا إليها المشركين كافة فقال – عز وجل – : ﴿**فَإِنْ تَـابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ**﴾ (٥).

ودعا إليها المسرفين على أنفسهم في المعاصي من أمة النبي صلى الله عليه وسلم ومن غيرهم فقال : ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْـرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ (٦).

كما دعا إليها أهل الإيمان وخيار الخليفة فقال – عز وجل –

(١) النساء : ١٤٦.
(٢) آل عمران : ١٨١.
(٣) المائدة : ٦٤.
(٤) المائدة : ٧٤.
(٥) التوبة : ١١.
(٦) الزمر : ٥٣ .

للصحابة بعد إيمانهم وهجرتهم وجهادهم وصبرهم : ﴿وَتُوبُوا إِلَـى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [١].

قال مجاهد : من لم يتب كل صباح ومساء كان من الظـالمين، قال الله – عز وجـل – : ﴿وَمَـنْ لَـمْ يَتُـبْ فَأُولَئِـكَ هُـمُ الظَّالِمُونَ﴾[٢].

أختاه.. لا تقنطي من رحمة الله

اعلمي أختاه أن القنوط من رحمة الله – عز وجل – كبيرة من الكبائر، فاحذري القنوط واليأس من رحمة الله، قال تعالى : ﴿قَـالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾[٣].

وقال الله – عز وجل – : ﴿إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّـهِ إِلَّـا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[٤].

وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضـي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه – عز وجل – قال : « **أذنب عبدٌ ذنبًا، فقال : اللهم، اغفر لي ذنبي، فقال – تبارك وتعالى – : أذنب عبدي ذنبًا، فعلم أن له ربًا يغفر الذنب،**

---

(١) النور : ١١.

(٢) تحفة الواعظ في الخطب والمواعظ لأخينا أحمد فريد ١/٩٤.

(٣) الحجر : ٥٦.

(٤) يوسف : ٨٧.

ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال : أي رب، اغفر لي ذنـــبي، فقال – تبارك وتعالى – : عبدي أذنب ذنبًا، فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال : أي رب، اغفر لي ذنبي، فقال – تبارك وتعالى – : أذنب عبدي ذنبًا، فعلم أن لـــه ربًا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت، فقد غفـــرت لك» [1].

وكذلك ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الحـــديث الـــذي أخرجه البخاري من حديث عمر رضي الله عنه أن رجلاً كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبد الله وكـــان يُلقـــب حمارًا، وكان يُضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جلده في الشراب، فأُتي به يومًا فـــأُمر بـــه فجُلد فقال رجلٌ من القوم، اللهم، العنه، ما أكثر ما يُـــؤتى بـــه ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

« لا تلعنوه، فوالله ما [2] علمت إنه يحب الله ورسوله » [3] .

---

(١) البخاري (٧٥٠٧) ، ومسلم (٢٧٥٨).

(٢) نقل الحافظ ابن الحجر – رحمه الله – في " ما " هنا أقوالاً، أقربها ما نقله عن أبي البلقاء في إعراب الجمع أنه قال : ما زائدة ، أي فوالله علمت أنه ، والهمزة على هذا مفتوحة ، قال : ويحتمل أن يكون المفعول محذوفًا ، أي : ما علمت عليه أو فيها سوءًا، ثم استأنف فقال : " إنه يحب الله ورسوله ". انظر كتاب الاستغفار للشيخ مصطفى العدوي ، هامش/٤٦.

(٣) البخاري (٦٧٨٠).

وتذكري – أختاه – دائمًا قول الله عز وجل : ﴿**وَالَّــذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَــرُوا اللَّــهَ فَاسْــتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَــا فَعَلُــوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْــرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾ [1].

فقد فهم الرعيل الأول من هذه الأمة هذه الآيات وغيرها مــن كتاب الله عز وجل فهمًا صحيحًا فضربوا لنــا أروع الأمثــال في التوبة والإنابة والرجوع إلى الله عز وجل وعدم اليأس والقنوط من رحمة الله عز وجل.

فقد ثبت في صحيح مسلم من حديث بريدة رضي الله عنــه : أن ماعز بن مالك الأسلمي أتى رسول الله صلى الله عليه وســلم فقال : يا رسول الله، إني قد ظلمت نفسي وزنيت، وإني أريــد أن تطهرني، فردَّه، فلما كان من الغد أتاه، فقال : يا رسول الله إني قد زنيت، فرده الثانية، فأرسل رسول الله صلى الله عليــه وســلم إلى قومه، فقال : « **أتعلمون بعقله بأسًا تنكرون منه شيئًا ؟** » قالوا : ما نعلمه إلا وافي العقل، من صالحينا فيما نرى، فأتاه الثالثة. فأرسل إليهم أيضًا، فسأل عنه فأخبروه أنه لا بأس به ولا بعقله. فلما كان الرابعة حفر له حفرة، ثم أمر به فرُجِم. قال : فجاءت الغامديــة، فقالت : يا رسول الله، إني قد زنيت فطهّرني، وإنه ردَّها، فلما كان الغد، قالت : يا رسول الله، لِمَ تردّني ؟ لعلك أن تردّني كما رددت

---

(1) آل عمران : ١٣٥-١٣٦ .

ماعزًا، فوالله إني لحُبلى، قـــــال : « **أما لا، فاذهبي حتى تلدي**». قال: فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة، قالت : هذا قد ولدته. قال: «**اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه** » فلما فطمته أتته بالصبي في يـــده كسرة خبز، فقالت : هذا يا رسول الله قد فطمتـــه، وقـــد أكـــل الطعام، فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين. ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها، وأمر الناس فرجموها.

فيقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتنضح الدم على وجه خالد فسبَّها، فسمع نبي الله صلى الله عليه وسلم سبَّه إياها، فقال : « **مهلاً يا خالد ! فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لـــو تابهـــا صاحب مكس لغُفر له** » [(١)].

ثم أمر بها فصلَّى عليها، ودُفِنت.

وفي رواية : فقال عمر رضي الله عنه : يا رسول الله، رجمتـــها ثم تصلي عليها !! فقال : « **لقد تابت توبة لو قُسِّمت بين سبعين من أهل المدينة وسعتهم، وهل وجَدَتْ شيئًا أفضل من أن جادت بنفسها لله عز وجل** » [(٢)].

فتأمّلي – أختي المسلمة – ما كان من هذه المرأة فهي تعلم أن تطهيرها من هذه الكبيرة وهي الزنى الرجم بالحجارة حتى المـــوت، إلا أنها استشعرت قبح الذنب وضرره العظيم في الآخرة، فبـــادرت إلى التوبة والإنابة والرجوع إلى الله عز وجل، ولم تقنط من رحمـــة

(١) رواه مسلم ، والمكس : هو أخذ المال عن طريق الغضب كما يفعل قطَّاع الطرق.

(٢) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٣٢٥/٧).

الله عز وجل، فمهما كان ماضي المسلم، فإن باب التوبـــة أمامـــه مفتوح، وعلى كل مسلم أن يفرح بها.

أختاه.. من يحول بينك وبين التوبة ؟

أختي المسلمة الليبية.. إياك أن تظني أن أحدًا يحول بينـــك وبين التوبة، فتأملي وتدبري قول الله عز وجـــل : **﴿وَالَّـــذِينَ لَـــا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّـــهُ إِلَّـــا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ عَمَـــلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّـــهُ غَفُـــورًا رَحِيمًا﴾** [1].

يقول الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره : " إلا من تاب عن هذه المعاصي وغيرها، بأن أقلع عنها في الحال، وندم على ما مضى له من فعلها، وعزم عزمًا جازمًـــا ألاّ يعود، وآمن بالله إيمانًا صحيحًا، يقتضي تـــرك المعاصـــي، وفعـــل الطاعات، وعمِل عملاً صالحًا مما أمر به الشارع، إذا قصـــد بـــه وجـــه الله :

﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ أي تتبدل أفعالهم، التي كانت مستعدة لعمل السيئات، تتبدل حسنات، فيتبدل شـــركهم

---

(١) الفرقان : ٦٨-٧٠.

إيمانًا، ومعصيتهم طاعة، وتتبدل نفس السيئات الـــتي عملوهـــا، ثم أحدثوا عن كل ذنب منها توبة، وإنابة، وطاعة، تبدل حسنات كما هو ظاهر الآية... " اهـــ [١].

وأذكِّرك – أختاه – بما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه من حديث أبي سعيد سعد بن مالك بن ســـنان الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **كـــان فيمن كان قبلكم رجلٌ قتل تسعة وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلّ على راهب، فأتاه فقال : إنـــه قتـــل تســـعة وتسعين نفسًا، فهل له من توبة ؟ فقال لا، فقتله فكمّل به مائـــة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلّ على رجل عالم، فقال : إنـــه قتل مائة نفس، فهل له من توبة ؟ فقال : نعم، ومن يحول بينـــه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسًا يعبدون الله تعالى، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض ســـوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه ملك الموت، فاختصمت فيـــه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب.**

فقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيرًا قط. فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم – أي حكمًا – فقال : قيسوا مـــا بين الأرضين، فإلى أيتها كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجـــدوه أدنى

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي – رحمه الله تعالى – (ص٦٣٥) ، دار المغني.

إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة » [١].

أختاه، هذا رجلٌ قتل مائة نفس وتاب الله عليه، فلِـمَ اليـأس والقنوط من رحمة الله ؟.

وها أنا الآن وكأني أسمع صرخات صوتك قائلـة : أريـد ان أتوب.. أريد العودة إلى الله.. فكيف ؟ وهل للتوبة شروط ؟.

فتصفحي أختاه الصفحات التالية، فستجدي الإجابة الشافية إن شاء الله تعالى.

أريد أن أتوب.. فكيف ؟

أختاه.. إن أردت التوبة إلى الله عز وجل فابدئيها بالندم والعزم على عدم العودة إلى الذنوب مرة أخرى، خوفاً مـن الله سـبحانه وتعالى، ثم فعل الحسنات المختلفة والطاعات التي أمـر الله بهـا في كتابه القرآن الكريم، وما أمرك به رسوله صلى الله عليه وسـلم في سنته الصحيحة.

واعلمي أن هناك صلاة تُسمى صلاة التوبة، فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي بكر رضي الله عنـه قـال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **ما مـن رجـل يُذنب ذنبًا ثم يقوم فيتطهر ثم يصلي (ركعتين) ثم يستغفر الله إلا غفر الله له"** [٢] » ثم قرأ هذه الآية : **﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ**

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أصحاب السنن، صحيح الترغيب والترهيب ١/ ٢٨٤.

ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[١].

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم من حديث ابن مسعود رضـــي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يـــا رسول الله، إني وجدت امرأة في بستان ففعلتُ بها كل شيء غير أني لم أجامعها، قبّلتها ولزمتها، و لم أفعل غير ذلك، فافعل بي ما شئت. فلم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم شيئًا فذهب الرجل. فقـــال عمر : لقد ستر الله عليه لو ستر نفسه، فأتبعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره، ثم قال : «**ردُّوه عليّ** » فردوه عليه فقرأ عليه : **﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾** فقال معاذ رضي الله عنه — وفي رواية عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، أَلهُ أم للناس كافة ؟ فقال : «**بل للناس كافة**»[٢].

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : «**إن مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل كانـــت عليـــه درع**[٣] **ضيقة، ثم عمل حسنة فانفكت حلقة، ثم عمل أخرى فانفكـــت الأخرى حتى يخرج إلى الأرض**» [٤].

---

(١) آل عمران : ١٣٥.

(٢) رواه مسلم.

(٣) درع : لباس من حديد يرتديه المقاتل.

(٤) صحيح الجامع (٢١٩٢).

شروط التوبة

ذكر العلماء رحمهم الله شروطًا للتوبة مأخوذة من كتـــاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، منها :

١- الإقلاع عن الذنب فورًا وأن يكون تـــرك الـــذنب لله لا لشيء آخر، كمن فقد القدرة على فعله أو على معاودته الذنب مرة أخرى، كمن تعوّد الكذب فأصيب بمرض أفقده النطق فلا يُسمى تائبًا، وكذلك الزاني إذا أُصيب بمرض أفقده القدرة على الوقـــاع، فلا بد للتوبة من ندم والإقلاع عن المعصية بل أقول الإقلاع عـــن تمني المعصية.

٢- الندم على فات : لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قـــــــال : «**الندم توبة**» [1].

٣- العزم على عدم العودة إلى الذنب مرة أخرى.

٤- إرجاع حقوق من ظلمهم، أو طلب البراءة منـــهم : لمـــا أخرجه البخاري في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **من كانت لأخيه مظلمة من عرض أو مال، فليتحلله اليوم قبل أن يُؤخذ منه يومَ لا دينار ولا درهم، فإن كان له عمل صالح أُخـــذ من سيئات صاحبه، فجُعلت عليه** » [2].

وقد ذكر بعض أهل العلم تفصيلات أخرى للتوبة نلخصـــها

---

[1] رواه أحمد وابن ماجة وهو في صحيح الجامع (٦٨٠٢).

[2] رواه البخاري.

فيما يلي [1] :

* أن يترك التائب الذنب لله لا لشيء آخر.

* أن يستشعر التائب قبح الذنب وضرره.

* أن يبادر إلى التوبة فإن تأخير التوبة هو في حد ذاته ذنـــب يحتاج إلى توبة.

* أن يخشى على توبته من النقص.

* استدراك ما فات من حق الله إن كان ممكنًا.

* أن يفارق من أعانه على المعصية.

* إتلاف المحرمات الموجودة عنده.

* أن يختار من الرفقاء الصالحين من يعينه على نفسه ويكـــون بديلاً عن رفقاء السوء.

* أن تكون التوبة قبل الغرغرة وقبل طلوع الشمس من مغربها.

---

(1) مستفاد من كتاب (أريد ان أتوب.. ولكن) للشيخ محمد صالح المنجد.

أمور تعينك على التوبة

أختاه.. بعد أن علمت شروط التوبة فإليك بعضًا من الأمـــور التي تعينك على العودة والإنابة إلى الله عز وجل.

١- الإخلاص لله رب العالمين : قال الله عز وجل : ﴿**لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** *﴾ (١).

٢- تذكرة الآخرة : لما ثبت عن ابن عمر– رضي الله عنـــهما – أنه كان يقول: " إذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباح، وإذا أصـــبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صـــحتك لمرضـــك، ومـــن حياتـــك لموتك"(٢).

٣- المجاهدة : قال الله عز وجل : ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَـــدُوا فِينَـــا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (٣).

٤- الدعاء وتعلق القلب بالله : فقد دعا نبي الله ابراهيم وابنـــه اسماعيل – عليهما السلام – : ﴿**رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِـــنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ (٤).

٥- التفكر في أهوال يوم القيامة والقبور : هذا اليوم العظـــيم

---

(١) يوسف : ٢٤.

(٢) البخاري : (٦٤١٦).

(٣) العنكبوت : ٦٩.

(٤) البقرة : ١٢٨.

وصفه ربنا بأوصاف تنخلع لها القلوب، وتذهل لهولها العقول، فهو مرة الواقعة، وهو الحاقة، وهو الطّامة، وهو القارعة هو الصارخة.

ومع هذا فالناس في غفلة أو ي ريب إلا من رحم ربي.

فلو تذكر المسلم ما في ذلك اليوم من أهوال كان ذلك دافعًا وحافزًا له على العمل الصالح في السر والعلانية، وكـذلك توبة صادقة إلى الله عز وجل.

٦- التعرف على أضرار الذنوب والمعاصي والتفكر فيها :

وهذه سبق ذكرها في الصفحات السابقة.

علامات قبول التوبة [١]

أختاه.. هذه بعض علامات صحة التوبة إلى الله عز وجل :

* أن يكون حال التائب بعد التوبة خيرًا مما كان قبلها.

* أن لا يزال الخوف مصاحبًا له لا يأمن مكر الله طرفة عين، فخوفه مستمر إلى أن يسمع قول الرسل لقبض روحه : ﴿**أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ [٢] فهناك يزول خوفه.

* انخلاع قلبه وتقطعه ندمًا وخوفًا، وهذا على قدر عظم الجناية وصغرها، وهذا تأويل ابن عُيينة لقوله تعالى : ﴿**لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ**

(١) مستفاد من كتاب البحر الرائق ، لأخينا أحمد فريد (ص١٦١، ١٦٢) بتصرف.

(٢) فصلت : ٣٠.

الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [1]. قال : تقطعها بالتوبة.

* كسرة خاصة تحصل للقلب لا يشبهها شيء ولا تكون لغير المذنب، ولا تحصل بجوع ولا برياضة ولا بحب مجرد، وإنما هي أمرٌ وراء هذا كله، تكسر القلب بين يدي الرب كســـرة عامـــة قـــد أحاطت به من جميع جهاته، وألقته بين يدي ربـــه طريحًـــا ذلـــيلاً خاشعًا، كحال عبد آبق من سيده فأُخذ فأُحضر بين يديه و لم يجد من ينجيه من سطوته و لم يجد منه بدًا ولا عنه غناء ولا منه مهربًا، وعلم أن حياته وسعادته وفلاحه ونجاحه في رضاه عنه، وقد علـــم إحاطة سيده بتفاصيل جناياته، هذا مع حبه لسيده وشدّة حاجتـــه إليه، وعلمه بضعفه وعجزه وقوة سيده، وذله وعز سيده، فيجتمع في هذه الأحوال كسرة وذلة وخضوع ما أنفعها للعبد.

كيف تقين نفسك من الوقوع في المعصية ؟

أختاه.. بعد أن علمت أضرار الذنوب والمعاصـــي وكـــذلك خطورة المعصية، هاكِ بعضًا من الأمور التي تقيك من الوقـــوع في المعصية.

أولاً : تقوى الله عز وجل :

فهي وصية الله عز وجل للأولين والآخرين، قال الله تعـــالى : **﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُـــوا**

---

[1] التوبة : ١١٠.

اللَّهَ﴾ [١].

وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**».

وتقوى الله عز وجل أن يعمل العبد بطاعة الله على نور من الله يرجو ثواب الله، وأن يترك معصية الله على نور مـــن الله يخشـــى عقاب الله.

فعليك – أختي المسلمة – بتقوى الله عز وجل تقـــي نفســـك الوقوع في معصية الله عز وجل.

ثانيًا : الاستغفار :

فقد رغّب النبي صلى الله عليه وسلم في الاستغفار فقـــال : « **من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهم وبحمدك أشهـــــد أن لا إله إلا أنـــت، أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك**»[٢].

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم من حديث الأغـــرّ المـــزني – رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **إنه لَيُغانُ على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة**»[٣].

فليكن لنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة الحســـنة

---

(١) النساء : ١٣١ .

(٢) الترمذي وابن حبان.

(٣) رواه مسلم.

فكان صلى الله عليه وسلم يستغفر ربه ويتوب إليه في اليوم أكثـــر من سبعين مرة.

فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضـــي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وســـلم يقـــول : « **والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثـــر مـــن ســـبعين مرة**»[1].

وتذكري أختاه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حـــين قال : « **يا معشر النســـاء، تصدقّـــن وأكثرن من الاســـتغفار، فإني رأيتكنّ أكثر أهل النار** » قالت امرأة منهن : ما لنا أكثر أهل النار ؟

قال : « **تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، مـــا رأيـــت مـــن ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن** ». قالت : ما نقصان العقل والدين ؟ قال : « **شهادة امرأتين بشهادة رجل، وتمكـــث الأيام لا تصلي** » [2].

ثالثًا : ذكر الله عز وجل :

فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **من قال : سبحان الله وبحمده في يوم مائة**

---

(1) رواه البخاري.

(2) رواه مسلم ، وفي رواية البخاري من حديث أبي سعيد الخدري : « أليس إذا حاضت لم تصل و لم تصم ؟ » قلن : بلى. قال : « فذلك من نقصان دينها ».

مرة حُطّت خطاياه ولو كانت مثل زَبَد البحر »[١].

فالذكر له فضل عظيم، فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **ألا أُنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عنـــد ملـــيككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الـــذهب والـــوَرِق، وخير لكم من أن تلقوا عدوَّكم فتضربوا أعنـــاقهم ويضـــربوا أعناقكم** ؟ " قالوا : بلى. قال : " **ذكر الله تعالى** »[٢].

وقال صلى الله عليه وسلم : « **يقول الله تعالى : أنا عند ظـــنّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرتـــه في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقـــرَّب إليَّ شبرًا، تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرَّبَ إلي ذراعًا تقربت إليـــه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولةً** »[٣].

رابعًا مجالسة الأخوات الصالحات :

فالجليس له تأثير على جليسه سلبًا أو إيجابًا بحســـب صـــلاحه وفساده، لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكـــير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا**

---

(١) البخاري ومسلم.

(٢) رواه الترمذي وابن ماجة.

(٣) رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري.

خبيثة»[1].

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرحه لصحيح مســـلم : "فيه فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومن يغتاب الناس أو يكثر فجوره وبطالته، ونحو ذلك من الأنواع المذمومة".

خامسًا : الإكثار من الأعمال الصالحة :

من فرائض ونوافل وصدقة والحج والعمرة والصلاة على الـــنبي صلى الله عليه وسلم وغيرها مما أمر به الشرع الحنيف.

سادسا: التعرف على الأعداء الأخفياء وطريـــق الخـــلاص منهم:[2]

بين الله عز وجل لعبده المسلم أن له أعداء تجره إلى الهـــلاك في الدنيا والآخرة إذا انقاد لها واتبعها فحذره إياها وبين لـــه طريـــق الخلاص منها وهؤلاء الأعداء هم:

أولهم: الشيطان اللعين:

فهو عدو أبينا آدم وأمنا حواء الذي أخرجهما من الجنة وهـــو العدو الدائم لذرية آدم إلى نهاية الدنيا،يعمل جاهدا على إيقـــاعهم

---

(١) البخاري ومسلم من حديث أبي موسى واللفظ لمسلم.

(٢) نقلا من كتاب (دين الحق) للأستاذ/ عبد الرحمن بن حماد آل عمر، ص(١٠٥-١٠٧) بتصرف.

في الكفر بالله حتى يخلدهم الله معه في النار –والعياذ بالله– ومـــن عجز عن إيقاعه في الكفر عمل على إيقاعه في المعاصي التي تعرضه لغضب الله وعذابه.

والشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، يوسوس في صـــدره، ويزين له الشر حتى يوقعه فيه إذا أطاعه.

وطريق الخلاص منه كما بينه الله عز وجل هو أن يقول المسلم إذا أو هم بارتكاب معصية: "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم"، وأن يعلم أن دافع الشر الذي يحس به في نفسه إنما هو من الشـــيطان، لكي يوقعه في الهلاك ثم يتبرأ منه بعد ذلك قال الله عز وجل: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِـــنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾[1].

العدو الثاني الهوى:

ومنه ما قد يشعر به الإنسان من رغبة في رفض الحق، ورده إذا جاء به غيره ومن رغبة في رفض حكم الله تعالى ورده، لأنه خلاف ما يريد، ومن الهوى تقديم العاطفة على الحق والعدل.

وطريق الخلاص من هذا العدو هو أن يستعيذ العبد بالله تعـــالى من اتباع الهوى، وألا يستجيب لدافع الهوى فلا يتبعه، بل يقـــول الحق ويقبله، ولو كان مرا، ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

---

(1) فاطر: ٦.

العدو الثالث : النفس الأمّارة بالسوء :

ومن أمرها بالسوء ما يشعر به الإنسان في نفسه من رغبـــة في فعل شهوة محرمة، كالزنا وشرب الخمر، والفطر في رمضان بـــدون عذر مشروع، ونحو ذلك مما حرم الله.

وطريق الخلاص من هذا العدو هو أن يستعيذ بالله تعالى من شر نفسه، من الشيطان، ويصبر عن فعل هذه الشهوة المحرمة، ويكـــف عنها ابتغاء مرضاة الله، كما يصبر نفسه عن الأكل أو الشرب الذي يشتهيه، ولكنه يضره لو أكله أو شربه، ويتذكر أن هذه الشـــهوة المحرمة سريعة الزوال، وتعقبها حسرة وطول ندامة.

العدو الرابع : شياطين الإنس :

وهم عصاة بني آدم الذين لعب بهم الشيطان، وصاروا يفعلون المنكر ويزيّنونه لمـــن يجالسهم. وطريق الخلاص من هذا العدو : هو الحذر منه والبعد عنه وعدم مجالسته.

صور من
حياة التائبين والتائبات

صور من حياة التائبين والتائبات

أختاه.. ما أجمل حياة التائبين وما أحلاها، وما أروع عـيش المحبين لله وما أهنأه، فإنه لا أمان، ولا سعادة، ولا راحـة.. إلا في ظل الإيمان بالله والتمسك بشرعه، فها هي إحدى التائبات إلى الله سبحانه وتعالى تقول :

" ما أحلى حلاوة الإيمان.. وعلى من تذوقها أن يدل النـاس على سبيلها ".

وتقول أيضًا : " لم أكن أحيا قبل أن يهديني الله.. لقد شعرت بالحياة الحقيقية بعد الهداية ".

وإليك أختي المسلمة بعضًا من حياة التائبين والتائبـات إلى الله عز وجل لتزدادي تمسكًا بدينه والتزامًا بشرعه سبحانه وتعالى.

توبة إلى الله على ظهر باخرة

هذه توبة الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى أنقلها لكِ أختـاه من رسالة حوت العديد من حياة العائدين إلى الله تعالى من مشاهير وعلماء ودعاة، وغيرهم يرووها بأنفسهم [1].

فقد نشأ سيد قطب – رحمه الله تعالى – في أسـرة متدينـة، متوسطة الثراء، في قرية صغيرة في صعيد مصر، وقد حرص والـداه على تحفيظه القرآن الكريم في صغره، فما أتمّ العاشرة إلا وقد حفظه

([1]) أي: العائدون إلى الله يرووها بأنفسهم.

كاملاً.

ولما بلغ التاسعة عشرة عاش فترة من الضياع، وصفها بنفسه بأنها كانت (فترة إلحاد) حيث قال : " ظللت ملحدًا أحد عشر عامًا حتى عثرت على الطريق إلى الله، وعرفت طمأنينة الإيمان ".

وفي سنة ١٩٤٨م غادر سيد القاهرة متوجهًا إلى أمريكا في بعثة لوزارة المعارف آنذاك، فكانت تلك الرحلة هي بداية الطريق الجديد الذي هداه الله إليه، ووفقه لسلوكه والسير فيه.

كان سفره على ظهر باخرة عبرت به البحر المتوسط والمحيط الأطلسي.. وهناك على ظهر الباخرة، جرت له عدة حوادث أثرت في حياته فيما بعد، وحدّدت له طريقه، ولذلك ما إن غادر الباخرة في الميناء الأمريكي الذي وصل إليه، وما إن وطئت قدماه أرض أمريكا حتى كان قد عرف طريقه، وحدّد رسالته، ورسم معالم حياته في الدنيا الجديدة.

يقول سيد – رحمه الله – : " منذ حوالي خمسة عشر عامًا كنا ستة نفر من المنتسبين إلى الإسلام، على ظهر سفينة مصرية تمخر بنا عباب المحيط الأطلسي إلى نيويورك، من بين عشرين ومائة راكب وراكبة ليس فيهم مسلم.. وخطر لنا أن نقيم صلاة الجمعة في المحيط على ظهر السفينة !.

والله يعلم أنه لم يكن بنا أن نقيم الصلاة ذاتها أكثر مما كان بنا حماسة دينية إزاء مبشّر كان يزاول عمله على ظهر السفينة، وحاول أن يزاول تبشيره معنا !.

وقد يسّر لنا قائد السفينة – وكان إنجليزيًا – أن نقيم صلاتنا، وسمح لبحارة السفينة وطهاتها وخدمها وكلهم نوبيون مسلمون أن يصلي منهم معنا من لا يكون في " الخدمة " وقت الصلاة.

وقد فرحوا بهذا فرحًا شديدًا، إذ كانت هذه هي المـــرة الأولى التي تقام فيها صلاة الجمعة على ظهر السفينة.

وقد قمت بخطبة الجمعة، وإمامة الصلاة، والركاب الأجانـــب معظمهم متحلقون، يرقبون صلاتنا !

وبعد الصلاة جاءنا كثيرون منـــهم يهنئوننـــا علـــى نجـــاح (القداس!!)، فقد كان هذا أقصى ما يفهمونه من صلاتنا.

ولكن سيدة من هذا الحشد – عرفنا من بعد أنها يوغســـلافية مسيحية [1] هاربة من جحيم (تيتو) وشيوعيته – كانت شـــديدة التأثر والانفعال، تفيض عيناها بالدمع، ولا تتمالـــك مشـــاعرها.. جاءت تشد على أيدينا بحرارة وتقول – في إنجليزية ضعيفة – إنهـــا لا تملك نفسها من التأثر العميق بصلاتنا هذه، ومـــا فيهـــا مـــن خشوع، ونظام روح... إلخ [2].

وبعد ذلك كله.. وفي ظلال هذه الحالة الإيمانيـــة، راح ســـيد قطب يخاطب نفسه قائلاً : " أأذهب إلى أمريكا وأسير بهـــا ســـير المبتعثين العاديين، الذين يكتفون بالأكل والنوم، أم لا بد من التميّز

(1) الصحيح أن يُقال : نصرانية.

(2) الظلال ١٧٨٦/٣ نقلاً من كتاب : العائدون إلى الله.

بسمات معينة ؟!.

وهل غير الإسلام والتمسك بآدابه، والالتزام بمناهجه في الحياة وسط المعمعان المترف المزود بكل وسائل الشهوة واللذة الحرام ؟ ".

قال : " وأردتُ أن أكون الرجل الثاني المسلم (المسلم الملتزم)، وأراد الله أن يمتحنني هل أنا صادق فيما اتجهت إليه أم هــو مجــرد خاطرة ؟ !.

وكان ابتلاء الله لي بعد دقائق من اختياري طريق الإسلام، إذ ما إن دخلت غرفتي حتى كان باب الغرفة يقرع.. وفتحت.. فــإذا أنا بفتاة هيفاء جميلة، فارعة الطول، شبه عارية، وبدأتني بالإنجليزية قائلة : هل يسمح لي سيدي بأن أكون ضيفة عنده هذه الليلة ؟

فاعتذرت بأن الغرفة معدة لسرير واحد، وكذا السرير لشخص واحد.

فقالت : وكثيرًا ما يتسع السرير الواحد لاثنين!.

واضطررتُ أمام وقاحتها ومحاولتها الدخول عنوة، لأن أدفــع الباب في وجهها لتصبح خارج الغرفة، وسمعت ارتطامها بــالأرض الخشبية في الممر، فقد كانت مخمــــورة.

فقلت : الحمد لله.. هذا أول ابتلاء.. وشعرت باعتزاز ونشوة، إذا انتصرت على نفسي.. وبدأتْ تسير في الطريق الــذي رسمتُــه لها... " [1].

([1]) انظر : (أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب) للدكتور / صلاح الخالدي نقلاً من (العائدون إلى الله).

مهاجرة إلى الله (هناء ثروت) [١]

هناء ثروت ممثلة مشهورة، عاشت في "العفن الفني" فترة مـــن الزمان، ولكنها عرفت الطريق بعد ذلك فلزمته، فأصبحت تبكـــي على ماضيها المؤلم.

تروي قصتها فتقول :

" أنهيت أعمالي عصر ذاك اليوم، وبعد أن اطمأننـــتُ علـــى أولادي، وقد بدءوا في استذكار دروسهم، جلســـت في الصـــالة، وهممتُ بمتابعة مجلة إسلامية حبيبة على نفسي، ولكن شيئًا ما شدّ انتباهي، أرهفتُ سمعي لصوت ينبعث من إحدى الغرف، وبالذات من حجرة ابنتي الكبرى، الصوت يعلو تارة ويغيب بعيـــدًا تـــارة أخرى.

نهضت بتعجُّل لأستبين الأمر، ثم عدتُ إلى مكاني باسمة عندما رأيتُ صغيرتي ممسكةً بيدها مجلدًا أنيقًا تدور به الغرفة فرحة، وهي تُلحِّن ما تقرأ، لقد أهدتها إدارة المدرسـة ديـوان (أحمدشـوقي) لتفوقهـا في دراستها، وفي لهجة طفولية مرحة كانت تردد :

خدعوها بقـــولهم حســـناء والغـــواني يغـــرهُنّ الثنـــاءُ

لا أدري لماذا أخذت ابنتي في تكرار هذا البيت، لعلّه أعجبها.. وأخذت أردده معها، وقد انفجرت مدامعي تأثرًا وانفعالاً، أنـــاملي

---

[١] نقلاً من كتاب (العائدون الى الله) لأخينا الشيخ / محمد بن عبد العزيز المسند ، وقد نقله من مجلة الأمة العدد (٦٢) بعنوان مهاجرة إلى الله.

الراعشة تضغط بالمنديل الورقي على الكرات الدمعية المتهطلة كـــي لا تفسد صفحات اعتدت تدوين خواطري وذكرياتي في ثناياهـــا، وصوت ابنتي لا يزال يردد بيت شوقي (خدعوها..) ؟ !.

نعم، لقد مُورست عليَّ عمليات خداع، نصبتها أكثـــر مـــن جهة.

تعود جذور المأساة إلى سنوات كنتُ فيها الطفلة البريئة لأبوين مسلمين، كان من المفروض عليهما استشعار المسئولية تجاه وديعـــة الله لديهما – التي هي أنا – بتعهُّدي بالتربيـــة وحُســـن التوجيـــه وسلامة التنشئة، لأغدو بحقٍّ مسلمة كما المطلوب، ولكن اسأل الله أن يعفو عنهما.

كانا منصرفين، كلٌّ واحد منهما لعمله، فأبي – بطبيعة الحـــال – دائمًا خارج البيت في كدحٍ متواصل تاركًا عبء الأسرة لأمـــي التي كانت بدورها موزعة الاهتمامات ما بين عملـــها الـــوظيفي خارج المنزل وداخله، إلى جانب تلبيـــة احتياجاتهـــا الشخصـــية والخاصة، وبالطبع لم أجد الرعاية والاعتناء اللازمين حتى تلقفـــتني دور الحضانة، ولَمَّا أبلغ الثالثة من عمري، كنت أعـــيش في قلـــق وتوتر وخوف من كل شيء، فـــانعكس ذلـــك علـــى تصـــرفاتي الفوضوية الثائرة في المرحلة الإبتدائية في محاولة لجذب الانتبـــاه إلى شخصي الْمُهمَل (أسريًا)، بَيْدَ أن شيئًا ما أخذ يلفت الأنظـــار إليَّ بشكل متزايد.

أجل، فقد حباني الله جمالاً ورشاقة وحنجرة غريدة، جعلـــت

معلمة الموسيقى تلازمني بصفة شبه دائمة، تستعيدني الأدوار الغنائية – الراقصة منها والاستعراضية – التي أشاهدها في التلفـــاز، حـــتى غدوت أفضل من تقوم بها في الحفلات المدرسية، ولا أزال أحتفظ في ذاكرتي بأحداث يوم كُرِّمتُ فيه لتفوقي في الغنـــاء والـــرقص والتمثيل على مستوى المدارس الإبتدائية في بلدي، احتضنتني (الأم ليليان)، مديرة مدرستي ذات الهوية الأجنبية، وغمرتني بقبلاتها قائلة لزميلة لها: لقد نجحنا في مهمتنا، إنها – وأشارت إليّ – من نتاجنا، وسنعرف كيف نحافظ عليها لتكمل رسالتنا! [1].

لقد صوَّر لي خيالي الساذج آنذاك أني سأبقى دائمًا مع تلـــك المعلمة وهذه المديرة، وأسعدني أن أجد بعضًا من حنان افتقدته، وإن كنتُ قد لاحظتُ أنَّ عطفها من نوعٍ غريب، تكشف لي أبعـــاده ومراميه بعدئذ، وأفقتُ على حقيقة هذا الاهتمام "المستورد"!

صراحة، لا أستطيع نكران مدى غبطتي في تلك السنين الفائتة، وأنا أدرج من مرحلة لأخرى، خاصة أن تبنَّاني أحد مخرجي الأفلام السينمائية كفنانة(!) دائمة وسط اهتمام إعلامي كـــبير بي! كمـــا أخذت أمي تفخر بابنتها الموهوبة (!) أمام معارفهـــا وصــــويحباتها، وتكاد تتقافز سرورًا وهي تتملّى صوري علـــى شاشـــة التلفـــاز، جليسها الدائم.

كانت تمتلكني نشوة مسكرة، وأنا أرفل في الأزيـــاء الفـــاخرة

---

(١) وصدق الله إذ يقول : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ (آل عمران : ١٠٠).

والمجوهرات النفيسة والسيارات الفارهة، كانت تطربني المقـــابلات والتعليقات الصحفية ورؤية صوري الملونة وهي تحتلُّ أغلفة المجلات وواجهات المحلات، حتى وصل بي الأمر إلى أن تعاقد معي متعهدو الإعلانات والدعاية، لاستخدام اسمي – اسمي فقـــط – لتـــرويج مستحضراته وبضائعهم.

كانت حياتي بعمومها موضع الإعجاب والتقليد في أوســـاط المراهقات وغير المراهقات على السواء، وبالمقابل كان تألقي هـــذا مواطن الحسد والغيرة التي شبَّ أوارها في نفوس زميلات المهنـــة – إن صحَّ التعبير – وبصورة أكثر عند من وصل بهنَّ قطار العمر إلى محطات الترهُّل والانطفاء، وقد أخفقت عمليات التجميل في إعادة نضارة شبابهنَّ، فانصرفن إلى تعاطي المخدرات، و لم يتبقَّ من دنياهن سوى التشبُّث بهذه الأجواء العطنة، وقد لُفِظنَ كبقايا هياكل ميتـــة في طريقها إلى الزوال.

قد تتساءل صغيرتي: وهل كنت سعيدة حقًا يا أمي؟

ابنتي الحبيبة، لا تدري بأني كنت قطعةً من الشقاء والألم، فقد عرفتُ وعشت كلَّ ما يحمل قاموس البؤس والمعاناة مـــن معـــانٍ وأحداث[1] إنسانة واحدة عايشَتْ أحزاني، وترفَّقـــت بعـــذاباتي في رحلة الشقاء (المبهرجة)، وعلى الرغم من أنها شقيقة والـــدتي إلا أنها تختلف عنها في كلِّ شيء، ويكفيها أنها امرأة فاضلة، وزوجـــة

---

(1) هذا هو حال أولئك الفنانين والفنانات !! شقاوة وتعاسة وبؤس ومعاناة ، وإن بلغوا ما بلغوا من الشهرة والغنى.

مؤمنة، وأم صالحة.

كنت ألجأ إليها بين الحين والآخر، أتزوَّد من نصائحها وأخضع لتحذيراتها، وأرتضي وسائلها لتقويم اعوجاجي، وهي تحاول فتح مغاليق قلبي ومسارب رُوحي بكلماتها القوية ومشاعرها الحانية، ولكن – والحق يُقال – كان شيطاني يتغلَّب على الجانب الطيب الضئيل في نفسي لقلَّة إيماني وضعف إرادتي وتعلقي بالمظاهر، وعلى الرغم من هذا لم يكن بالمستطاع إسكات الصوت الفطري الصاهل المنبعث في صحراء قلبي المغرور.

بات مألوفًا رؤيتي ساهمة واجمة، وقد أصبحت دمية يلهو بها أصحاب المدارس الفكرية – على اختلاف انتماءاتها العقدية – لترويج أغراضهم ومراميهم عن طريق أمثالي من المخدوعين والمخدوعات، واستبدالنا بمن هم أكثر إخلاصًا، أو إذا شئت (عمالة)، في هذا الوسط الفكرية.

وجدت نفسي شيئًا فشيئًا أسقط في عزلة قائظة، زاد عليها نفوري من أجواء الوسط الفني – كما يُدعى - ! معرِضةً عن جلساته وسهراته الصاخبة التي يُرتكب فيها الكثير من التفاهات والحماقات باسم الفن أو الزمالة!

لم يحدث أن أبطلت التعامل مع عقلي في ساعات خلوتى لنفسي، وأن أحاول تحديد الجهة المسئولة عن ضياعي وشقائي، أهي التربية الأسرية الخاطئة أم التوجيه المدرسي المنحرف أم هي جناية وسائل الأعلام أم كل ذلك معًا؟!

لقد توصَّلت – أيامها – إلى تصميم وعزم يقتضـي تجنيب أولادي مستقبلاً ما ألقاه من تعاسة مهما كان الثمن غاليًا؛ إذ يكفي المجتمع أني قُدِّمت ضحية على مذبح الإهمال والتآمر والشهوات، أو كما تقول خالتي: على دين الشيطان.

وفجأة.. التقينا على غير ميعاد.

كان مثلي، دفعته نزوات الشباب – كما علمتُ بعدئذ – إلى هذا الوسط ليصبح "نجمًا"، وعذرًا، فهذه اصطلاحاتنا آنذاك، ومع ذلك كان يُفضِّل تأدية الأدوار الجادة ولو كانت ثانوية، نافرًا من التعامل مع الأدوار النسائية.

ومرَّة احتفلت الأوساط الفنية والإعلامية بزيارة أحد مشاهير (هوليوود) لها، واضطررت يومها لتقديم الكثير من المجاملات التي تحتمها مناسبة كهذه! وانتهزت فرصة تبادل الأدوار وتسلَّلت إلى مكان هادئ لالتقاط أنفاسي، لمحته جالسًا في مكان قريب مني، شجعني صمته الشارد أن أقتحم عليه عُزلته.

سألته بدون مقدمات عن رأيه في المرأة لأعرف كيف أبدأ حديثي معه.

أجابني باقتضاب أنَّ الرجل رجل والمرأة امرأة، ولكلٍّ مكانه الخاص وفق طبيعته التي خُلق عليها.

استرسلت في التحادث معه، وقد أدهشني وجود إنسان عاقل في هذا الوسط !.. فهمتُ من كلامه أنه سيضحِّي غير آسف بالثراء والشهرة المتحصِّلَين له من التمثيل، وسيبحث عن عملٍ شريفٍ نافع

يستعيد فيه رجولته وكرامته.

لحظتها قفز إلى خاطري سؤال عرفتُ الحياء الحقيقـــي وأنـــا أطرحه عليه.

لم يشأ أن يحرجني يومها، ولكن مما وعيت من حديثه قولـــه: "إذا تزوجتُ فستكون زوجتي أمًّا وزوجًا بكلِّ معنى الكلمة، فاهمةً مسئولياتها وواجباتها، وستكون لنا رسالة نؤدِّيها نحو أولادنا لينشئوا على الفضيلة والاستقامة كما أمر الله، بعيدًا عن المزالق والمنعطفات، وقد عرفت مرارة السقوط وخبرت تعاريج الطريق ".

وقال كلامًا أكثر من ذلك أيقظ فيَّ الصوت الفطري الرائـــق، يدعوني إلى معراج طاهر من قحط القاع الزائف إلى نـــور الحـــقِّ الخصيب، وأحسستُ أني أمام رجل يصلح لأن يكون أبًا لأولادي، على خلاف الكثير ممن التقيت ورفضت الاقتران بهم.

وبعد فترة شاء الله وتزوجنا..

وكالعادة.. كان زواجنا قصة الموســـم في أجهـــزة الإعـــلام المتعددة.. حيث تعيش دائمًا على مثل هذه الأخبار.

ولكن المفاجأة التي أذهلت الجميع كانت بإعلاننـــا – بعـــد زيارتنا للأراضي المقدسة – عن تطليق حيـــاة الفـــراغ والضـــياع والسوء، وأني سألتزم بالحجاب وســـائر الســـلوكيات الإســـلامية المطلوبة إلى جانب تكريس اهتمامي لمملكتي الطاهرة بيتي المـــؤمن لرعاية زوجي وأولادي طبقًا لتعاليم الله ورسوله.

أما زوجي فقد أكرمه الله بحسن التفقه في دينه، وتعليم النـــاس في المسجد.

أولادي الأحباء لم يعرفوا بعد أن أباهم في عمامته وأمهـــم في جلبابها كانا ضالَّين فهداهما الله، وأذاقهما حلاوة التوبة والإيمان.

خالتي المؤمنة ذرفت دموعها فرحة، وهي ترى ثمرة اهتمامها بي في الأيام الخوالي، ولا تزال الآن تحتضنني كما لو كنـــت صـــغيرة، وتسأل الله لي الصبر والثبات أمام حملات التشهير والنكايـــة الـــتي استهدفت إغاظتي بعرض أفلامي السافرة التي اقترفتها أيام جاهليتي، علّني أن أعاود الارتكاس في ذاك الحمأ اللاهب وقد نجاني الله منه.

ومن المضحك أن أحد المنتجين عرض على زوجي أن أقـــوم بتمثيل أفلام وغناء أشعار يلصقون بها مُسمًّى (دينية) [1] !

ولا يعلم هؤلاء المساكين أنَّ إسلامي يربأ بي عن مزاولـــة مـــا يخدش كرامتي أو ينافي عقيدتي..

نعم، لقد كانت هجرتي لله وإلى الله، وعندما تكـــبر براعمـــي المؤمنة سيدركون إن شاء الله لِمَ وكيف كنت!

وتندفع صغيرتي إلى حجري بعد الاستئذان، وأراها تضع بـــين يديَّ الديوان، تسألني بلهجة الواثق من نفسه أن أتابع ما حَفِظَـــت

---

(1) من أساليب الشيطان وأعوانه في الإغواء التدرُّج، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [النور: ٢١]، فالواجب الحذر من ذلك

من قصيد، وقبل أن أثبت بصري على الصفحة المطلوبة، اندفعت في تسمعيها:

خدعوها بقـــولهم حســـناءُ والغـــواني يغـــرهنّ الثنـــاءُ

توبة فتاة من ضحايا الغزو الفكري[1]

تقول هذه التائبة:

"كنت لا أصلي إلاَّ نادرًا، منهمكة في قراءة مـــا لا يـــنفعني، ومطالعة ما لا يفيدني، منشغلة بسماع ما يُغضب الله عز وجـــل... غارقة في عالم المعاصي.

كانت بداية الهداية عندما دخلت المطبخ ذات مرة واحترقـــت يدي، فأخذت أبكي، واستغفرتُ الله، وأحسستُ بأنه عقـــاب لي وتذكير بنار جهنم التي هي أشدُّ حرًّا، فأخذتُ أصلي تلك الليلـــة، وأستغفر الله، وداومتُ على الصلاة، ولكني لم أكـــن أخشـــع في صلاتي، لأني ما زِلتُ مصرَّة على ذنوبي السابقة، فكنـــت أصـــلي صلاة جافة بلا روح، وأركع وأسجد دون استشعار لما أقرؤه مـــن آيات أو أقوله من أدعية، لأن قلبي ممتلئ بالمعاصي، وليس فيه محـــل لذكر الله أو الخشوع في الصلاة.

كانت إحدى صديقاتي تلح عليَّ دائمًا في حضـــور مجـــالس الذكر، ولكني كنتُ أرفض وأهرب منها.

١- مستفاد من كتاب «العائدون إلى الله»، وهذه القصة كتبتها هذه التائبة بنفسها لمؤلف الكتاب.

وذات مرة ألحَّت عليَّ صديقتي فذهبت معها مرغمة، وكانت المحاضرة عن الصلاة، فأحسستُ أني بحاجة لهذا الموضوع، خاصـــة حين أخذت المحاضرة تشرح قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَـــى عَـــنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**﴾ فقالت : إنَّ الصلاة تجعل الإنسان أو المصـــلي يبتعد عن كلِّ فاحشة وكل منكر، فهي تنهاه عنه، وهذه حقيقـــة أثبتها الله تعالى، ولكنا نجد أن أغلب المصلين لا تنهاهم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر، بل إن أحدهم ليفكر في صلاته ماذا سيفعل بعـــد قليل، فصلاته لم تنهه عن المنكر، وهذا دليل على أنَّ الصلاة ناقصة، فعليه أن يراجع نفسه، هل نقص من خشوعها؟ هل من اطمئنانها؟ هل استشعر وتدبَّر كل ما يقرأ ويقول؟ إلى آخر ما قالت.

فوقعت كلماتها عليَّ كالماء البارد على الظمآن، فهذا ما أحسُّه وأفتقده، ومن تلك اللحظة، أخذت أستشعر كل ما أقرؤه، حـــتى سورة الفاتحة اكتشفت فيها معانٍ لم أكن أستشعرها مـــن قبـــل، فحمدت الله على أن هداني إلى الصراط المستقيم، ودعوت لهـــذه المحاضِرَة في ظهر الغيب.. واقتديتُ بها فأصبحتُ من الدعاة إلى الله، لعلَّ الله أن ينفع بكلماتي ويفتح بها قلوبًا غلفًا، وآذانًا صُمًّا، والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

أختاه..

هذه تذكرة.. من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن باب النصح في الله عز وجل لما ثبت في " صحيح مسـلم " من حديث أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «**الدين النصيحة**». قيل لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله، ولكتابه ولرسوله، ولأئمَّة المسلمين وعامتهم**» [١].

وعن جريرة بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: " بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم "[٢].

وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « **من دلّ على خيرٍ فله مثل أجر فاعله**» [٣].

فالله أسأل أن يجعل عملنا هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن يحفظ نساءنا ونساء المسلمين من كل سوء ومكروه، إنه على كل شيء قدير، والحمد لله رب العالمين، وصل الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه

أبو محمد: عصام بن عبد ربه آل مشاحيت

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه مسلم.

الفهرس

* * *